السريان في بلاد الرافدين

م. م. عبد الرزاق حسين صالح
جامعة الانبار –كلية الاداب

المبحث الاول

نشأة السريان في بلاد ما بين النهرين

إن أول حضارة عالمية هي حضارة بلاد ما بين النهرين ، ولم يعد من يشكك في قدمها ، وأصالتها ، ورقيها ، بل تزيدنا الاكتشافات والبحوث اقتناعاً ، يوماً بعد يوم ، بأن أثر حضارات بلاد ما بين النهرين المتعاقبة عبر عصور عديدة تسبق بكثير عصور ازدهار الحضارات العالمية الأخرى[1] .

كما أن حضارة وادي الرافدين ليست قديمة وحسب ، بل هي فكر وأدب وفنون من الطراز الرفيع جداً ، مع قدم عهدها ، أي أنها حضارة ناضجة[2] .

نعم لقد كانت بلاد ما بين النهرين مهد الحضارة وينبوعها الثر ، كما ذكر ذلك الدكتور أحمد كمال في كتابه ، فقال :

((إن بلاد ما بين النهرين كانت مهد الحضارة منذ فجر التاريخ)) [3].

فمادة بلاد وادي الرافدين التراثية ليست خاماً ، بل أننا حيال فكر أصيل وأدب رفيع ، وبقدر توغلنا في قدم تاريخ الفكر والأدب والفن في العراق القديم ، نلقى أصالة وإبداعاً بمستوى عالٍ جداً يسمو على تراث المتأخرين من شعوب وأقوام سكنوا المنطقة عينها وأي جزء آخر من بلدان العالم [4] .

ولا جدال في ان الثقافة السريانية قد ولدت وترعرعت وازدهرت في بلاد ما بين النهرين ، فهي شرقية أصيلة .

وحيث أن السريان هم ورثة الآراميين ، فسوف نتحدث قليلاً عنهم وعن تاريخ مجيئهم إلى العراق ، فالآراميون ورثة الحضارات الرافدانية القديمة ، السومرية والبابلية والآشورية والكنعانية وغيرها .

إن أصل الآراميين جنوب بادية الشام ، أو المنطقة الشمالية من الجزيرة العربية ، غربي الفرات وشرقي فلسطين ، ثقافتهم مستمدة من حضارات وادي الرافدين مع خصوصيات وتطورات أحدثوها بعد أن زحفوا حتى الشمال الشرقي وأسسوا دويلات هنا وهناك كانت بمثابة مراكز إشعاع حضاري [5].

وليس في الإمكان تحديد زمان وجود بعض القبائل الآرامية في العراق بصورة دقيقة ، لعدم وجود وثائق تاريخية ، وفي هذا الخصوص يذكر مؤلف كتاب (الممالك الآرامية) :

((أن هجرة بعض القبائل الآرامية إلى العراق ، على الأرجح ، قد تمت على ثلاثة مراحل :

الأولى : حوالي الألف الثاني ق.م بدليل وجود إبراهيم الخليل في مدينة أور السومرية النهرينية ، التي غادرها إلى حران برفقة أبيه الآرامي ، وقد وصف يعقوب جده إبراهيم بكونه (آرامياً تائهاً) كما جاء في سفر التثنية (5/26) .

الثانية : تمت خلال القرون 15–11 ق.م ، وظهر خلالها الآراميون كقوم نازحين عن موطنهم الأم نحو الجنوب حيث انتشروا على امتداد الفرات .

الثالثة : حدثت بعد القرن التاسع ق.م. عندما احتل الآشوريون الدويلات الآرامية ، وأجلوا قسماً من أبنائها إلى هذه المنطقة ، حتى أن بعضهم استطاعوا تأسيس دولة حملت اسم دويلتهم الأصلية (بيت عديني) الواقعة في حوض الفرات بأعلى ما بين النهرين) [6] .

أما الكلديون (الكلدانيون) أو (كاسديم) في التوراة ، فهم منجمون آراميون نزحوا الى جنوب جنوبي العراق من سوريا بشكل قبائل نحو الفرات الأوسط والأسفل ، وذهب الدكتور أحمد سوسة أبعد من ذلك ، فقال :

(إن ثمة كتابة آشورية تعود إلى ما قبل الألف الثاني ق.م تشير إلى وجود ما يشبه مدينة أو دويلة باسم (آرام) في جنوب العراق) [7] .

وفي هذ الخصوص يقول الاستاذ دوبونت سومير :

(أن الآراميين طفقوا يتغلغلون تدريجياً حتى انتشروا بين سواحل القنوات المحصورة بين دجلة والفرات ، بدءاً بدور كاريكالزو (عكركوف الحالية) شمالاً وغلى

حدود عيلام (عربستان) جنوباً ، وكونوا شبه دويلات هنا وهناك مستقلة عن دولة بابل الكبرى أشهرها : إيشوع – بيت عديني – كمبولو – فقودو – بيت شياني وغيرها) [8] .

المبحث الثاني

طرق انتقال المسيحية إلى الجزيرة العربية

كانت هناك روافد حملت المسيحية إلى الجزيرة العربية بل الى مكة ذاتها وهي:

1. الاضطهاد الذي وقع على المسيحية منذ عهد المسيح ذاته والذي جعل أتباعها يبحثون عن أماكن في كهوف الجبال وبطون الصحراء ليتواروا عن أعين الرقباء من الرومان.
2. رحلات العرب التجارية إلى المناطق المسيحية اسهمت بدورها في إدخال المسيحية الى الجزيرة العربية .
3. دخلت المسيحية الجزيرة العربية دخولاً رسمياً على يد الحارث الغساني .
4. دخلت المسيحية الى الجزيرة العربية مع الغزو الحبشي لها .

ظهور جماعة يدعون بالحنفاء يرمون من وراء تحنفهم إلى سحب الثقة الدينية من الأوثان ، ثم طلبوا أدياناً شتى فبعضهم طلب الحنيفية وبعضهم طلب الأوثان وبعضهم طلب المسيحية [9] .

وقد ورد في عدد من المصادر التاريخية ما يشير إلى أن السريان كانوا موجودين في العراق منذ فترات قديمة ، ومنهم المسعودي فيقول :

(وكان أهل نينوى ممن سمو نبيطاً وسريانيين ، والجنس واحد ، واللغة واحدة ، وإنما بان النبط اختلفوا عنهم بأحرف يسيرة في لغتهم والمقالة واحدة) [10] .

ثم يعود المسعودي ويذكر في كتاب آخر :

(الكلدانيون ، وهم السريانيون ، وقد ذكروا في التوراة ... وذكرهم أرسطاطاليس.. وبطليموس) [11] .

أما اليعقوبي فيضع ترتيب الملوك الأوائل هكذا :

(السريانيون أولاً ، ثم ملوك نينوى ، فملوك بابل ، ويبدو أنه يوحد بينهم جميعاً)[12] .

وفي هذا الخصوص يذكر صاعد الأندلسي الآتي :

(الكلدانيون وهم السريانيون والبابليون ، فهم الكوتائيون والآثوريون والأروماينون والجرامقة ، وهم أهل الموصل ، والنبط ، وهم أهل سواد العراق . وكانت بلادهم في وسط المعمور أيضاً ، وهي العراق والجزيرة التي ما بين دجلة والفرات المعروفة بديار ربيعة ومضر والشام وجزيرة العرب التي بين الحجاز ونجد وتهامة والغور واليمن كلها ما بين زبيد إلى صنعاء وعدن والعروض والشحر وحضرموت وعمان وغيرها من بلاد العرب . وكانت هذه البلاد واحدة ، ملكها واحد ، ولسانها واحد ، سرياني ، وهو اللسان القديم) [13] .

إن الأنباء التي جاءت عن نصارى العراق والجزيرة العربية ضئيلة جداً ، لكن جل هذه الأنباء يؤيد أن أحد تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين الذين اختارهم وأرسلهم إلى المدن التي يريد أن يذهب إليها ، وكما جاء في إنجيل لوقا الإصحاح العاشر الآية الأولى:

(وبعد ذلك اختار الرب يسوع اثنين وسبعين آخرين ، وأرسلهم اثنين اثنين يتقدمونه إلى كل مدينة أو موضع عزم أن يذهب إليه) [14].

ذلك التلميذ هو مارادي وتلميذه ماري (كلمة آرامية معناها السيد وتطلق على القديسين والبطارنة والأساقفة) ، اللذين بشرا في نصيبين والجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وبلاد العرب وارض المشرق [15].

وقد أورد هذا الخبر الكثير من المؤرخين ، وأضافوا أن هذا حدث في المائة الأولى للميلاد [16] . وفي هذا الخصوص يذكر جاثليق * المدائن** طيمثاوس الأول (المتوفي سنة 823م) ما معناه :

(كانت الديانة المسيحية منتشرة لدينا بعد صعود ربنا الى السماء بنحو من عشرين عاماً) [17] .

وكتب المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف حول النصرانية ومتى انتشرت في وادي الرافدين بقوله :

(والعباد [العباد أو العباديون نصارى من عدة بطون وقبائل نزلوا الحيرة قبل الإسلام فاستوطنوها] تذكر أن أول البطاركة *** السريانيين الذين نزلوا كرسي المشرق على قديم الأيام بعد صعود المسيح إلى السماء بنحو ثلاثين سنة بعد أحد الاثنين عشر ادي السليح **** قبل حدوث الخلاف بين النصارى وهو أدي بن ماري وهو من السبعين وهو الذي نصّر أهل المدائن ودير متي وغيرها من السواد بنى بيعتين إحداهما بالمدائن دار

مملكة فارس يومئذٍ وجعلها كرسياً لمن يأتي بعده من البطاركة ورسم ألا تتم البطركة لمن ينصب لها إلاّ في هذه البيعة وأخرى بدير متي***** وقبره بها) [18].

المبحث الثالث

النصرانية في العراق

وقد شاعت النصرانية في العراق حوالي المائة الأولى والثانية من حياتها ، ودخلت فيها جموع غفيرة من الشعوب القديمة التي كانت قاطنة فيه ، وكما جاء ذلك في سفر أعمال الرسل الإصحاح 2/ الآية 9 :

(نحن من برثية ومادية وعيلام وما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنطس راسيا) .

لقد ظهرت النصرانية والعراق إذ ذاك تحت سيطرة البرثيين* وقد شاد دعائم مملكتهم قائدهم ارشك الأول (250–248 ق.م) وعاصمتها كانت مدينة طيسفون** .

وفي عهد البرثيين ازدهرت النصرانية في بلاد الرافدين في غضون المائة الأولى للميلاد ، فترك سكانه المتنصرون أسمهم القديم (آراميين) وأسموا نفوسهم (سرياناً) تمييزاً لهم عن الوثنيين (الآراميين) ، وقد استحسنوا هذه التسمية لأن النصرانية راقتهم من سورية وكلمة (سوريا) الآرامية معناها (نصراني) وعلى يومنا لا تزال كلمة (سورايا) لدى المتكلمين باللغة الآرامية العامية مترادفة لكلمة (نصراني) لأي جنس أو أمة كان[19].

لم يكن البرثيون دولة قوية بل قسموا بلادهم إلى إمارات وبلدان مستقلة يحكمها أمراء أو ملوك ، وكانت أيام حكمهم مفعمة باضطرابات داخلية وخارجية أصبحت من جرائها رقعة ملكهم ساحات معارك دامية دارت رحاها بين ملوكهم وبين الأقوام الجبلية البعيدة المجاورة لبحر قزوين ، وبينهم وبين الرومان ، إلى أن سقطت سنة (226م) وقامت على أنقاضها الدولة الساسانية التي احتلت العراق إلى ظهور الإسلام [20] .

لقد شاهد نصارى العراق تقلبات الدولة البرثية فعاشوا بين الضيق والرخاء والحرب والأمن ، فساسوا شؤونهم واعتنوا بمصالحهم الروحية والاجتماعية يطيعون جاثليق المدائن ويتخذونه رئيس أساقفتهم وقد أضحى كرسيه على تمادي الزمن في مقدمة كراسي المشرق تخضع له كل كنائس السريان الشرقيين التي بنيت في بلاد الجزيرة وفارس والعرب وتركستان والهند والصين [21] .

هوت مملكة البرثيين عام (226م) وانتقلت بلادها إلى مملكة الساسانيين أو الأكاسرة . وقد أسسها اردشير بن بابك (226-241م) واتسعت رقعة ملكه أيام خلفائه وكان العراق من ضمنها [22] .

توغل الساسانيون في البلاد والحروب الطاحنة انا ذاك متواصلة بينهم وبين الرومان ، الذين كانوا يطمحون الى العراق ويرومون الاستيلاء عليه فبلغت جحافلهم الجرارة دجلة واجتاحت مدنه ، وكان الرومان أثناء زحفهم يثيرون الاضطهادات على النصارى كما كانوا يفعلون في مملكتهم ، فذا الإمبراطور تريانوس بعدما استفتح المدائن عنوة (115م) أضرم عليهم لهيب الاضطهاد وأذاقهم أنواع الخسف والهوان فأهلك منهم جمعاً غفيراً [23] .

ثم اقتفى خطواته السواد الأعظم من القياصرة ممن توغلوا في هذه البلاد ، فأوقد نارها ثانية الملك دافيوس الذي أمر سنة (250م) ولاته بتقتيل النصارى وأبادوا منهم جماعات ، أما الملك ديو قلتيانوس فراقبهم وأراق عام (302م) دماء مئات منهم [24] .

لقد اضطهد ملوك الروم النصارى كما كانوا يضطهدونهم في بلادهم بينما ملوك الفرس في أوائل عهدهم لم يتعرضوا لهم فعاشوا معهم في وفاق ووئام دائبين مواظبين على أعمالهم الدينية والدنيوية ، على أن الفرس أضرموا مثل الرومان نيران الاضطهادات عليهم وقتما وافتهم الأنباء بتنصر الملك قسطنطين الروماني سنة (312م) ظانين أنهم سيتحزبون لنصارى المغرب ويميلون على قياصرتهم [25].

وأول الملوك الساسانين الذين اضطهدوا نصارى العراق هو سابور الثاني الملقب بذي الأكتاف (309-379م) الذي أثار أول اضطهاده وأقساه ودام زهاء أربعين سنة فدعاه المؤرخون الاضطهاد الأربعيني 339-379م ، وفي هذا الاضطهاد جار سابور على النصارى ووضع السيف فيهم فمزق شملهم واستأصل شأفتهم وأباد منهم عدداً كبيراً وفي هذا الخصوص يقول المسعودي :

(إن سابور ملك فارس قتل منهم نحواً من مائتي ألف) [26] .

وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ ماري بن سليمان :

(وقتل سابور من المؤمنين بالدير الأحمر وباجري * وغيرها نحو مائة وستين ألف رجل وفي بلدان الفرات نحو ثلاثين ألف رجل) [27] .

واستمر ملوك الساسانيين بإثارة الاضطهادات ضد نصارى العراق إلى أن تبعوا تعاليم نسطور وأوطافي ، تلك التعاليم التي انتشرت منذ أواخر القرن الخامس الميلادي ،

فانقسم سكان الشرق النصارى إلى قسمين : قسم عدل على النسطورية وأغلبهم من أهل شرقي الموصل إلى خليج فارس دعوا نساطرة أو سريانا شرقيين ، وقسم تبع مبادئ أوطافي ومعظمهم من أهل غربي الموصل إلى جهات الرها وحدود حلب وحمص وحماة وسموا يعاقبة أو سريانا غربيين [28] .

من أجل أن يقيموا فواصل مذهبية بين نصارى فارس والروم ، فقد بالغ الملك قباذ الأول بن فيروز (488–531) في معاضدتهم ومؤازرتهم [29] .

مع الاضطهادات الهائلة والضربات الأليمة التي حلت بنصارى العراق ، إلاّ أن ذلك كله لم يستطع أن يزعزع إيمانهم ولا أن يتغلب على اعتقاداتهم بل زادهم نشاطاً وقوة ، فكان رؤساؤهم يقيمون المجامع ليتباحثوا في سياسة الكنيسة وينظموا حياة أبنائهم الاجتماعية والعلمية ويوحدوا أعيادهم وصومهم وصلواتهم الطقسية [30].

وقد نبذ المسيحيون العراقيون الأولون أعمال المجوسية المستهجنة وراعوا الآداب الدينية في حياتهم اليومية ، فأقروا بخلود النفس وأشاروا إلى ثوابها أو عقابها يوم الحشر، وتعمقوا في تفاسير الكتب المقدسة ووافقوا على تعاليمها [31].

وفي سنة (632م) وبعد فتن أهلية دامية جلس على سرير الأكاسرة يزدجرد الثالث (632–651م) ، في تلك الأثناء اشتد ساعد الإسلام واتحد سكان جزيرة العرب وتوحدت كلمتهم ، فانصرفت همتهم إلى الفتح والتبسط في الآفاق ، فأنفذ الخليفة أبو بكر الصديق (10–13هـ/632–634م) خالد بن الوليد المخزومي على أرض العراق ، فزحف إلى الحيرة وفتحها صلحاً [32].

ورحب النصارى بالفتح الإسلامي لمناطقهم وساعدوا الفاتحين ومدوا لهم يد المساعدة ، وفي هذا الخصوص يذكر الطبري :

(رحب النصارى بخالد بن الوليد وأنزلوا جنوده في كنائسهم وأديرتهم) [33] .

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (13–23هـ/634–644م) تولى القيادة لفتح العراق سعد بن أبي وقاص ، واشتعلت نار الحرب بينه وبين القائد الفارسي رستم في القادسية ، فدارت الدوائر على الفرس ، وفي عام (16هـ/637م) سارت الجنود العربية إلى المدائن وفتحوا بابها . وفي سنة (19هـ/640م) زحفوا إلى فارس وقضوا على الدولة الساسانية واستولى المسلمون على أملاكها وسكانها وعلى قسم عظيم من مملكة الروم[34].

لقد انتشرت النصرانية في اليمن وحضرموت وعمان وفي غيرها من البلاد العربية منذ القرون الأولى للميلاد ، وعاش من دان بها بين مواطنيهم في وئام وسلام،

فكان أبناء القبائل العربية يختلفون إلى صوامع وديارات الرهبان وإلى كنائس وبيع الكهنة ليتعلموا القراءة والكتابة [35] .

وقد تكلم المؤرخون عن انتشار النصرانية بين القبائل العربية ، فقد قال الفيروز أبادي :

(والعباد قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة) [36] .

أما اليعقوبي فقد قال في تاريخه :

(وأما من تنصر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني اسد بن عبد العزى منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وورقة بن نوفل بن اسم . ومن بني تميم امرؤ القيس بن زيد مناة . ومن ربيعة بنو تغلب ومن اليمن طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم) [37] .

أما ابن قتيبة فقد قال :

(كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة) [38].

أما البكري فقد قال :

(انتشرت النصرانية في بعض القبائل العربية منها : بكر وغياد وكندة وضبيعة والأوس وحمير ويشكر وجذام...) [39].

هذه القبائل كانت كلها منتشرة في الجزيرة والشام والعراق ، وممتزجة أخلاقاً ومدنية بالنصارى وقد ساندتها القومية الواحدة أعني القومية السامية . أما القبائل المتنقلة المتنصرة فلم تترك ، بل كان يتدبر شؤونها أسقف أو أكثر يدعون (أساقفة المضارب) وهم يرافقونها أينما حلت أو رحلت ويقومون بالفروض الدينية تحت الخيم [40] .

لقد بقيت النصرانية بين قبائل عرب العراق زمناً بعد الفتح في الحيرة والكوفة والأنبار وما جاورها من الأصقاع ، واشتهر في الكوفة الأسقف جرجس (ت 725م) ، فقد أقيم لبني طيء وعقيل وتنوخ وعرف بأسقف العرب أو أسقف عرب الجزيرة المؤمنين ، وكان كرسي أبرشيته * في عاقولاء (الكوفة) [41] .

استقر المسيحيون النساطرة (أصحاب الطبيعتين) **في العراق ليبتعدوا عن المضايقات التي سببها لهم الأسقف نونوس الذي انتخب عام 457م في الرها ، حيث سكنوا في مدينة سلوقية على نهر دجلة قبالة العاصمة طيسفون وكونوا هناك مركزاً ثقافياً مهماً للنسطورية في الشرق ومنها تعلم أهل الحيرة العرب المذهب النسطوري . على استعمال أهل الحيرة اللغة العربية ، كانت اللغة السريانية تستعمل في الطقوس الكنيسية

فهي لغة رجال الدين وجلهم من رجال العلم ، فهي عندهم لغة للدين والعلم كما كانت اللاتينية لغة الدين والعلم عند الغربيين ، والعربية عند المسلمين[42] .

احترف نصارى وادي الرافدين الحرف المختلفة ليقوموا بأمور حياتهم فتعاطوا الأعمال الحرة واشتغلوا نظير آبائهم الآشوريين والكلدانيين بفلاحة الأرض وتربية الحيوانات الداجنة وتفننوا مثل جدودهم الآراميين في التجارة والأدب فربحوا الأموال الطائلة وفي الوقت نفسه زاولوا صناعة التعليم واتقنوا هندسة البناء وتمهروا في فنون التصوير والصياغة والحياكة والنجارة والحدادة [43] .

إن أول كنيسة عراقية شيدت في المدائن هي كنيسة كوخي العظيمة التي أقام دعائمها مار ماري وبنى أخرى في دير متى ، ثم شاد الأساقفة كافة في كل مدينة أو قرية كنيسة أو كنائسها في داخلها مدرسة يتعلم رعاياهم بين جدرانها أصول الكتابة والقراءة وسائر العلوم المعروفة في تلك الأزمنة وعلى الأخص الآداب الدينية والمعارف اللاهوتية[44] .

لقد بنى النصارى خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد كنائس عديدة في حدياب وأربل وكرخ سلوخ (كركوك اليوم) وفرات ميشان * كما بنوا مدارس[45] .

ومن الكناس الشهيرة في العراق ، كنيسة مار دانيال في بابل التي هدمت في الاضطهاد الأربعيني (339–379) ، والكنيسة الفخمة التي شادها في تكريت* المفريان** ماروثا المتوفى سنة (639م) ، وقد بالغ نصارى العراق في تنسيقها وعنوا كثيراً بزخارفها واهتموا أكثر بتصاويرها [46].

وكان نصارى العراق يحلفون بالله والمسيح والقربان والمعمودية ويكرمون الصليب ويلثمونه ويعلقونه في أعناقهم ويمسحون أيديهم به [47].

أما المرأة فكانت تراعي أصول الحشمة والحياء وتميل إلى التزين بالأحجار الكريمة واللآلئ الغالية [48] .

وليس من شك في أن السريانية استفادت من المسيحية فانتشرت في أوساط كثيرة كانت لغاتها و لهجاتها مختلفة قليلاً . كما أنه تمكنت من الوقوف سوراً منيعاً منذ تغلغل اليونانية في الديار الشرقية ، على عكس ما حصل في الديار المصرية وبلاد الشام ، حيث غزت اليونانية الأوساط الأدبية ، وأصبحت وسيلة التدوين ولغة العلوم والآداب وعلية القوم [49] .

بل أن السريانية تمكنت من الانتشار والوصول إلى بلدان بعيدة جداً ، كتركستان ، والهند، والصين، ومنغوليا، وذلك بفضل انتشار المسيحية وطقوسها التي كانت تتمسك بالسريانية [50].

ويتحدث أوليري عن تقدم البعثات المشرقية (النسطورية) إلى الجنوب حتى وادي القرى ، إلى الشمال الشرقي من المدينة ، بحيث انتشرت الأديرة والقلالي والصوامع في الوادي كله ، وكان رهبان كنيسة المشرق ينتشرون في بلاد العرب ويزورون الأسواق . وكانت نجران معقل المسيحية الأكبر في بلاد العرب ، وكان أكثر سكان هذه المدينة من أصحاب الطبيعة الواحدة * [51].

كان السريان واسطة في نقل الثقافة إلى أقصى الغرب حتى بلغوا بها فرنسا ، فهم الذين .. أخذوا الثقافة اليونانية من الإسكندرية وأنطاكية ونشروها في الشرق ، وحملوها إلى مدارس الرها ونصيبينس وحران وجنديسابور [52].

أصبح من الممكن للغة السريانية أن تحتل مكانة مرموقة في دور العلم والمعرفة منذ بداية نشرها . ذلك بسبب كثرة التأليف فيها وتعود المراكز الثقافية التي تهتم بها فأخذت تشكل جانباً مهماً" ومشرقاً من جوانب حضارة بلاد ما بين النهرين وسوريا وغيرها وخلفت تراثاً حضارياً ثراً لا يستهان به [53] .

فالنقوش السريانية القديمة يبلغ عددها حوالي 80 نصاً (معظمها جنائزية ودينية وتذكارية) ويرجع تاريخها من القرن الأول الميلادي حتى القرن الثالث وأقدمها نص مؤرخ من سنة 6 ميلادية . كما عرفت السريانية القديمة من خلال وثيقة بيع مكتوبة على الجلد مؤرخة في سنة 243ميلادية [54] .

إن الآداب السريانية ليست إلاّ وليدة الحركة الدينية الكبرى ، تلك التي نشأت في الشرق إلى نحو العصر المسيحي فجرفت بتيارها بلاد ما بين النهرين بسرعة مدهشة[55].

إن الآداب المسيحية السريانية تكونت وأخذت بالانتشار في بلاد ما بين النهرين على ضفتي دجلة والفرات في منطقة حدياب الواقعة بين نهري الزاب الكبير والزاب الصغير شرقي دجلة وفي منطقة الرها في الشمال الغربي لإقليم ما بين النهرين وبذلك انتشرت السريانية لتصبح لغة جماعة كبيرة في شمال العراق والشام بعد أن كانت في منطقة محدودة في شمال الشام .

وبما أن السمة الدينية المسيحية هي التي ميزت الآداب السريانية عما سواها . لذا فإن أهمية الآداب السريانية لم تظهر بشكلها الواسع إلاّ منذ أن دخلت المسيحية الى الشرق من خلال المنافذ المعروفة تاريخياً الرها وحدياب والجزيرة العربية ذلك ربما في القرن الأول أو منتصف القرن الثاني الميلادي [56] .

الهوامش:

(1) حبي يوسف ، أصالة حضارة وادي الرافدين وأثرها في الحضارات العالمية ، مجلة آفاق عربية ، السنة 7، مايس 1982 ، ص48-61 .

(2) باقر،طه ، ملحمة كلكامش ، المقدمة ، بغداد 1980 ، ص9 .

(3) زكي ، د. أحمد كمال ، الأساطير ، دراسة حضارية مقارنة ، ط2 ، بيروت 1979 ، ص9 .

(4) كونتينو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، ترجمة وتعيق سليم طه التكريتي و برهان عبد التكريتي ، بغداد ، 1979 ، ص14 .

(5) شمعون ، غريغوريوس صليبا ، الممالك الآرامية ، حلب 1981 ، ص9-12 .

(6) المصدر نفسه ، ص128 .

(7) سوسة ، أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية ، بغداد ، 1975 ، ط4 ، ص54 .

(8)سومير ، دوبونت ، الآراميون ، تعريب الأب ألبير أبونا ، مجلة سومر ، العدد 19 ، 1963 ، ص 100 .

(9)الفيومي ، د. أحمد إبراهيم ، في الفكر الديني الجاهلي ، ط2 ، دار القلم ، الكويت ، 1980 ، ص87-88 .

(10) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، 1958 ، ج1 ، ص237 .

(11) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، دار الصاوي ، مصر 1938 ، ص68 .

(12) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ط1 ، النجف 1964 ، ج1 ، ص68 .

(13)الأندلسي ، أبو القاسم صاعد بن أحمد التغلبي . طبقات الأمم ، النجف الأشرف ، 1967 ، ص6 .

(14) الكتاب المقدس ، العهد القديم والعهد الجديد ، إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، لبنان ، 1996 .

(15) سليمان ، ماري . اخبار فطاركة كرسي المشرق ، روما 1899 ، ص 1-5 .

(16) أنظر : ابن العبري ، غريغوريوس يوحنا الملطي . التاريخ الكنسي ، ج2 ، لوفان 1872-1877 ، ص11-14 ؛ برصوم ، أغناطيوس أفرام ، الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة ، حمص ، 1940 ، ص76 ، 197 ؛ نصري ، بطرس ، ذخيرة الأذهان في أخبار المشارقة السريان ، الموصل 1905-1913 ، ج1 ، ص32-39 .

* **جاثليق** : كلمة يونانية تعني العام أي الاب العام .

** **المدائن** : أن هذا الموضع كان مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية وغيرهم . فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها وسماها باسم . لأولها المدينة العتيقة التي لزاب ثم مدينة الإسكندر ثم طيسفون من مدائنها ثم أسفانير ثم مدينة يقال لها رومية فسميت بذلك والله أعلم .. وسماها العرب المدائن لأنه سبع مدائن بين كل مدينة على الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة . الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، ج4 ، بيروت 1956 ، ص445-446)

(17) اسحق ، رفائيل بابو ، تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا ، مطبعة المنصور ، بغداد 1948 ، ص3 .

*** **البطاركة** : مفردها بطريرك كلمة يونانية الأصل معناه رئيس الآباء .

**** **السليح** : كلمة مأخوذة من الآرامية بمعنى الرسول .

***** **دير متي** : مقصور يقع على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً بين النعمانية وهو في الجانب الشرقي معدود في أعمال النهروان وبينه وبين دجلة ميل .. الحموي ، ياقوت ، ج2 ، ص687 .

(18) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي . التنبيه والإشراف ، بيروت 1965 ، ص149 .

* **البرثيين** : كان أصل البرثيين من الشعب الأشكاني أو الاشغاني . وهم ساكنو البلاد الجبلية التي في شرق بحر قزوين وجنوبه .

** **طيسفون** : مبنى مدينة طيسفون الملوك البرثيون على الجانب الأيمن من نهر دجلة . ويشتهر في موقعها اليوم إيوان كسرى وقبر سلمان المحمدي.

(19) منّا ، يعقوب أوجين . دليل الراغبين في لغة الآراميين ، الموصل 1900 ، ص9–11 .

(20) شير ، ادي . تاريخ كلدو وآثور ، بيروت ، 1912–1913 ، ج1 ، ص163–169 .

(21) بن متي ، عمرو . المجدل ، روما 1896 ، ص13–16 ؛ كذلك :

Labourt . Le Christianisme dans L. Empire Perse , 1904 , p. 15-27.

(22) علي ، سيد الأمير ، مختصر تاريخ العرب ، تعريب رياض رأفت ، مصر 1938 ، ص25 .

(23) S. Assemani, Bibliotheca Orientalis Clementio Vaticana, New York, 1975, Vol, 3:2 , pp 40-73 .

(24) شير ، أدي ، شهداء المشرق ، الموصل ، 1900 ، ج1 ، ص74–142 .

(25) شير ، أدي ، تاريخ كلدو وآثور ، ج2 ، ص28 و 60 .

(26) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص49 .

* **باجري** : البقعة الواقعة بين دجلة والزاب الصغير وجبال حمرين ونهر ديالى .

(27) بن سليمان ، ماري ، أخبار فطاركة كرسي المشرق ، ص13 .

(28) Hourani . Minorities in the Arab world . Oxford . 1947, p.4-5 .

(29) شير ، أدي ، تاريخ كلدو وآشور ، ج2 ، ص 156 و 161 .

(30) نصري ، بطرس ، ذخيرة الأذهان ، ج1 ، ص100–110 .

(31) شيخو ، لويس ، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، بيروت 1912–1919 ، ج2 ، ص338–342 .

(32) ابن العبري ، غريغوريوس يوحنا ، تاريخ مختصر الدول ، بيروت 1890 ، ص169 .

(33) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة 1939 ، ج4 ، ص12 ؛ كذلك : ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، بيروت 1966 ، ج2 ، ص147–150 .

(34) اسحق ، روفائيل بابو ، تاريخ نصارى ... ، ص19 .

(35) ابن رسته ، الأعلاق النفسية ، ليدن ، 1891 ، ص216–217 ؛ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، القاهرة 1938 ، ج1 ، ص 208–211 .

(36) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مصر 1353هـ ، ج1 ، ص311 .

(37) اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن جعفر ، النجف الأشرف ، 1359هـ ، ج1 ، ص298–299 .

(38) ابن قتيبة ، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري ، المعارف ، القاهرة 1965 ، ص266 .

(39) البكري ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، معجم ما استعجم ، نحوتنجن 1877 ، ص48 .

(40) اسحق ، رفائيل بابو ، تاريخ النصارى ... ، ص53 .

* **الابرشية** : كلمة يونانية يراد بها ولاية الأسقف الكنسية .

(41) شيخو ، لويس ، النصرانية ، ج1 ، ص101 ، ج2 ، ص328 ؛ برصوم ، أغناطيوس افرام ، اللؤلؤ المنشور ، ص309-313 .

** **اصحاب الطبيعتين** : هم المسيحيون الذين قالوا آن في المسيح تتجسد اقنومتين وطبيعتين ، واول من قال بهذا هو نسطور ، وذلك في المائة للخامسة للميلاد ، فالمسيحيون الذين تبعوا نسطور دعوا نساطرة او سريانا شرقيين ، انظر : زيدان ، جرجي . العرب قبل الاسلام ، مصر ، 1922 ، ص 200 .

(42) علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج6 ، بغداد 1957 ، ص74-76 .

(43) صائغ ، الأب سليمان ، تاريخ الموصل ، مصر ، 1923 ، ج2 ، ص8 .

(44) المسعودي ، كتاب التنبيه والإشراف ، ص49 .

* **فرات ميشان** : أو برات ميشان أوميسان أو دستميسان مدينة البصرة اليوم ، عدنان ، أيشو ، الديورة في مملكتي الفرس والعرب ، تعريب اتلمطران بولس شيخو ، الموصل 1939 ، ص301 .

(45) شير ، أدي ، شهداء المشرق ، المقدمة ، ص د ؛ كذلك :

Duval, R. La Literature Syriaque . Paris , 1907 , p.4 .

* **تكريت** : اشتهرت هذه المدينة بكرسي مقارنة المشرق من سنة (628م) حتى منسلخ المائة الثانية عشرة . برصوم ، أغناطيوس أفرام الأول . اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، حمص 1943 ، ص506 .

** **المفريان** : كلمة آرامية تعني المثمر ، وهو اسم لصاحب رئيس كنيسة خاصة بالكنيسة السريانية مرادفة للجاتليق ، فهو دون البطريرك وفوق الأسقف . برصوم ، أغناطيوس ، اللؤلؤ ، ص502 .

(46) طرازي ، فيليب دي ، عصر السريان الذهبي ، بيروت 1946 ، ص48-50 ؛ كذلك : شيخو ، لويس ، النصرانية ... ج1 ، ص85-86 .

(47) الاصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ، الأغاني ، بيروت 1958 ، ج2 ، ص24 ، 31 .

(48) شيخو ، لويس ، شعراء النصرانية قبل الإسلام ، بيروت 1934 ، ص469 ، 445 .

(49) حبي ، يوسف ، السريانية بين اليونانية والعربية ، ضمن ندوة الأصل المشترك للغات العراقية القديمة ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، 1999 ، ص108 .

(50)كامل ، مراد ، البكري ، محمد حمدي ، رشدي ، زاكية محمد ، تاريخ الأدب السرياني من نشأته على العصر الحاضر ، القاهرة 1973 ، ص23 .

* **اصحاب الطبيعة الواحدة** : هم المسيحيون الذين قالوا آن في المسيح تتجسد اقنوماً واحداً وطبيعة واحدة ، واول من قال بهذا هو اوطاخي وذلك في المائة الخامسة للميلاد ، والمسيحيون الذين انضووا الى لواء اوطاخي سموا يعاقبة او سريانا غربيين ، انظر : شيخو ، لويس . النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية ، ج 1 ، ص 86 – 87 .

(51) أوليري ، دي لاس ، علوم اليونان وسبل انتقالها على العرب ، ترجمة : د. وهيب كامل ، القاهرة 1962 ، ص90 .

(52) دي بور ، ت. ج ، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة 1938 ،ص15 .

(53) الجادر ، عادل هامل ، جانب من تاريخ اللغة السريانية في العراق ، ضمن ندوة الأصل المشترك للغات العراقية القديمة ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، 1999 ، ص141–142 .

(54) Klaus, Beyer . The Aramaic Language. Translated from the German by John F. Healey, Gottingen , 1986 , pp. 9-10 and n.3 .

(55) دوفال ، روبنس ، تاريخ الأدب السرياني ، ترجمة : الأب لويس قصاب، بغداد 1992 ، ص21 .

(56) كامل ، مراد وآخرون ، تاريخ الأدب السرياني ... ، ص61–67 .

المصادر العربية

(1) حبي يوسف ، أصالة حضارة وادي الرافدين وأثرها في الحضارات العالمية ،مجلة آفاق عربية 1982 .

(2) باقر ، طه ، ملحمة كلكامش ، المقدمة ، بغداد 1980.

(3) زكي ، د. أحمد كمال ، الأساطير ، دراسة حضارية مقارنة ، ط2 ، بيروت 1979.

(4) كونتينو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، ترجمة وتعيق سليم طه التكريتي و برهان عبد التكريتي ، بغداد ، 1979.

(5) شمعون ، غريغوريوس صليبا ، الممالك الآرامية ، حلب 1981 .

(6) سوسة ، أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية ، بغداد ،1975.

(7) سومير ، دوبونت ، الآراميون ، تعريب الأب ألبير أبونا ، مجلة سومر ، العدد 19 ، 1963.

(8) الفيومي ، د. أحمد إبراهيم ، في الفكر الديني الجاهلي ، ط2 ، دار القلم ، الكويت ، 1980.

(9) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، 1958.

(10) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ط1 ، النجف 1964.

(561) الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد التغلبي . طبقات الأمم ، النجف الأشرف ، 1967.

(12) الكتاب المقدس ، العهد القديم والعهد الجديد ، إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، لبنان ، 1996 .

(13) سليمان ، ماري . اخبار فطاركة كرسي المشرق ، روما 1899.

(14) أنظر : ابن العبري ، غريغوريوس يوحنا الملطي . التاريخ الكنسي ، ج2 ، لوفان 1872–1877 ، برصوم ، أغناطيوس أفرام ، الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة ، حمص ، 1940 ، 197 ؛ نصري ، بطرس ، ذخيرة الأذهان في أخبار المشارقة السريان ، الموصل 1905–1913 .

(15) اسحق ، رفائيل بابو ، تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا ، مطبعة المنصور ، بغداد 1948.

(16) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي . التنبيه والإشراف ، بيروت 1965.

(17) منّا ، يعقوب أوجين . دليل الراغبين في لغة الآراميين ، الموصل 1900 .

(18) شير ، ادي . تاريخ كلدو وآثور ، بيروت ، 1912–1913.

(19) بن متي ، عمرو . المجدل ، روما 1896 .

(20) علي ، سيد الأمير ، مختصر تاريخ العرب ، تعريب رياض رأفت ، مصر 1938.

(21) نصري ، بطرس ، ذخيرة الأذهان.

(22) شيخو ، لويس ، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، بيروت 1912–1919 .

(23) ابن العبري ، غريغوريوس يوحنا ، تاريخ مختصر الدول ، بيروت 1890.

(24) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة 1939 ، كذلك : ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، بيروت 1966 .

(25) ابن رسته ، الأعلاق النفسية ، ليدن ، 1891 ،

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، القاهرة 1938.

(26) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مصر 1353هـ .

(27) اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن جعفر ، النجف الأشرف ، 1359هـ .

(28) ابن قتيبة ، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري ، المعارف ، القاهرة 1965.

(29) البكري ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، معجم ما استعجم ، نحوتنجن 1877.

(30) علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج6 ، بغداد 1957 .
(31) صائغ ، الأب سليمان ، تاريخ الموصل ، مصر ، 1923.
(32) طرازي ، فيليب دي ، عصر السريان الذهبي ، بيروت 1946 .
(33) الاصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ، الأغاني ، بيروت 1958.
(34) حبي ، يوسف ، السريانية بين اليونانية والعربية ، ضمن ندوة الأصل المشترك للغات العراقية القديمة ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، 1999.
(35) كامل ، مراد ، البكري ، محمد حمدي ، رشدي ، زاكية محمد ، تاريخ الأدب السرياني من نشأته على العصر الحاضر ، القاهرة 1973.
(36) أوليري ، دي لاس ، علوم اليونان وسبل انتقالها على العرب ، ترجمة : د. وهيب كامل ، القاهرة 1962.
(37) دي بور ، ت. ج ، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة 1938.
(38) الجادر ، عادل هامل ، جانب من تاريخ اللغة السريانية في العراق ، ضمن ندوة الأصل المشترك للغات العراقية القديمة ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، 1999 .
(39) دوفال ، روبنس ، تاريخ الأدب السرياني ، ترجمة : الأب لويس قصاب، بغداد 1992.

المصادر الانكليزية

1- Labourt . Le Christianisme dans L. Empire Perse , 1904.
2- **S.Assemani, Bibliotheca Orientalis Clementio Vaticana,New York,1975,Vol, 3:2.**
3-Hourani . Minorities in the Arab world . Oxford . 1947.
4-Duval, R. La Literature Syriaque . Paris , 1907 .
5-Klaus, Beyer . The Aramaic Language. Translated from the German by John F. Healey, Gottingen 1986 .